بسم الله الرحمن الرحيم

القُرآنُ سِرُّ الاطْمِئْنَانِ

الحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى تِلاوَةِ القُرْآنِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَدَبُّرًا لآيَاتِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الفَضْلِ وَالعِرْفَانِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِهِ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ، وَتَقَرَّ أَعْيُنُكُمْ.

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَنْقَذَ اللَّهُ تَعَالَى البَشَرِيَّةَ بِبَعْثَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَرَدٍّ مِنَ العَقَائِدِ وَالأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ، وَجَعَلَ قِوَامَ رِسَالَتِهِ القُرْآنَ الكَرِيمَ، فَكَانَ فِيهِ النُّورُ الَّذِي انْتَشَلَ العَرَبَ وَالعَجَمَ مِنْ ظُلُمَاتِ الأَخْلاقِ وَالأَهْوَاءِ وَالأَعْمَالِ، إِلَى نُورِ الحَقِّ وَالعَدْلِ وَالخَيْرِ وَالجَمَالِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ، فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1].

وَإِنَّ المُتَأَمِّلَ لِهَذَا النُّورِ العَظِيمِ لَيُدْرِكُ الإِدْرَاكَ كُلَّهُ أَنَّهُ إِذَا خَالَطَ قَلْبَ المُؤْمِنِ اسْتَنَارَتْ أَرْجَاؤُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ، وَسَكَنَتْ رُوحُهُ، فَكَانَتِ الطُّمَأْنِينَةُ عُنْوَانَهُ، وَالسَّكِينَةُ شِعَارَهُ، وَسَلامَةُ النَّفْسِ دَيْدَنَهُ، كَيْفَ لا وَقَدْ قَالَ فِيهِ مُنْزِلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3]، وَإِنَّ أَعْظَمَ الذِّكْرِ –بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ– هُوَ القُرْآنُ، فَلا غَرْوَ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمُ الطُّمَأْنِينَةِ فِي رِحَابِهِ، وَمُنْتَهَى السَّكِينَةِ بَيْنَ سُوَرِهِ وَآيِهِ.

---

(١) النساء: ١٧٤ ، ١٧٥

(٢) الإسراء: ٨٢

(٣) الرعد: ٢٨

يَا أُمَّةَ القُرْآنِ:

إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَصْنَعُكُمْ صُنْعًا بَدِيعًا، وَيَهْدِيكُمْ لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَأَقْوَمِهَا، وَخَيْرِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَإِنَّ المُسْلِمَ الحَقَّ لَتَظْهَرُ فِي حَيَاتِهِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ آثَارُ الطُّمَأْنِينَةِ بِالقُرْآنِ؛ فَإِذَا دَاهَمَتْهُ شُبْهَةٌ أَوْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَةٌ لَجَأَ إِلَيْهِ، مُرْتَوِيًا مِنْ هِدَايَاتِهِ، طَالِبًا نُورَ آيَاتِهِ، فَكَانَ فِيهِ شِفَاءُ القَلْبِ مِنْ مَزَالِقِ الشُّبُهَاتِ وَمَهَاوِي الشَّهَوَاتِ. وَإِذَا أَصَابَتِ العَبْدَ المُؤْمِنَ مُصِيبَةٌ هَرْوَلَ مُسْرِعًا نَحْوَ القُرْآنِ، فَإِذَا فِيهِ: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[1]، وَفِيهِ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، وَفِيهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ، ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3]، وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ يَأْوِي صَاحِبُ القُرْآنِ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ فَيُثَبِّتُهُ اللَّهُ بِهِ، وَيَكْلَؤُهُ بِسَبَبِ لُجُوئِهِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[4]. وَإِذَا حَارَ المُسْلِمُ فِي خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَوْ قَرَارٍ يَتَّخِذُهُ وَجَدَ فِي القُرْآنِ البَصِيرَةَ وَالسَّدَادَ، وَالهُدَى وَالرَّشَادَ، فَحَالُهُ مَعَ القُرْآنِ -كَمَا قَالَ اللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ-: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[5]، وَحَيَاتُهُ مَعَ القُرْآنِ حَيَاةُ الرُّوحِ وَرُوحُ الحَيَاةِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[6].

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَالجَؤُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تُفْلِحُوا، وَعِيشُوا مَعَ آيَاتِهِ تَسْعَدُوا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كِتَابِهِ الطُّمَأْنِينَةَ، وَزَرَعَ فِي نُفُوسِ المُقْبِلِينَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَدَبُّرِهِ أُنْسَ السَّكِينَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ الفَرِحِينَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأَعْظَمُ المُطْمَئِنِّينَ بِكِتَابِ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(١) آل عمران: ٢٠٠
(٢) الزمر: ١٠
(٣) البقرة: ١٥٥ ، ١٥٦
(٤) الفرقان: ٣٢
(٥) طه: ١٢٣
(٦) الشورى: ٥٢

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

إِنَّ لِتَحْصِيلِ الطُّمَأْنِينَةِ بِالقُرْآنِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ طُرُقًا كَثِيرَةً، وَوَسَائِلَ وَافِرَةً، وَهِيَ يَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ المُسْلِمَ الصَّادِقَ لَنْ يَعْدَمَ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا مِنْهَا يَسْلُكُ بِهِ إِلَى نَعِيمِ القُرْآنِ وَطُمَأْنِينَتِهِ فَيَنْهَلُ أَوْ يَغْتَرِفُ. وَمِنْ تِلْكَ الوَسَائِلِ: الإِقْبَالُ عَلَى تِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ، وَحِفْظِهِ كُلِّهِ أَوْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَحْمِلُ القُرْآنَ فِي صَدْرِهِ مُسْتَوْعِبًا مَعَانِيَهُ تَتَفَجَّرُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ يَنَابِيعُ الطُّمَأْنِينَةِ، وَتَتَنَزَّلُ عَلَى قَلْبِهِ صُنُوفُ السَّكِينَةِ، فَيَعِيشُ حَيَاةَ السُّعَدَاءِ، وَيَرْقَى مُرْتَقَى الأَوْلِيَاءِ، وَأَمَّا مَنْ لا وِرْدَ لَهُ مِنَ القُرْآنِ وَلا شِرْبَ فَأَنَّى لَهُ الارْتِوَاءُ دُونَ مَعِينٍ! وَكَيْفَ يَبْلُغُ التُّقَى دُونَ العَيْشِ مَعَ القُرْآنِ المُبِينِ! وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَحْصِيلِ الطُّمَأْنِينَةِ بِالقُرْآنِ العَمَلُ بِمَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ وَزَوَاجِرَ، وَمَوَاعِظَ وَأَخْبَارٍ، وَقِصَصٍ وَأَمْثَالٍ؛ فَإِنَّ القُرْآنَ إِنَّمَا يُحْفَظُ وَيُتَدَبَّرُ لِلْعَمَلِ بِهِ وَتَجْسِيدِهِ حَيًّا فِي وَاقِعِ الحَيَاةِ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ))، فَمَنْ عَمِلَ بِالقُرْآنِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الرَّحَمَاتُ، وَتَوَالَتْ فِي حَيَاتِهِ الخَيْرَاتُ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾[1]، وَمِنْ سُبُلِ الطُّمَأْنِينَةِ: تَعْلِيمُ القُرْآنِ لِلأَبْنَاءِ، وَتَرْبِيَتُهُمْ بِهِ، وَرَبْطُهُمْ بِتَعَالِيمِهِ وَإِرْشَادَاتِهِ، فَإِنَّهُ يَزْرَعُ فِي نُفُوسِهِمُ الصَّفَاءَ وَالنَّقَاءَ، وَطَهَارَةَ القَلْبِ وَالنَّفْسِ، فَيَجْنِي المُسْلِمُونَ ثِمَارَ ذَلِكَ رُشْدًا وَرَشَادًا، وَيَنْجُو المُجْتَمَعُ مِنْ آثَارِ الانْحِرَافَاتِ الفِكْرِيَّةِ، وَالأَخْطَاءِ التَّرْبَوِيَّةِ، فَيَا مَنْ تَرْجُو لأَوْلَادِكَ مُسْتَقْبَلًا مُطْمَئِنًا سَعِيدًا، وَعَيْشًا رَغْدًا رَشِيدًا، هَلُمَّ هَلُمَّ بِهِمْ إِلَى حَلَقَاتِ التَّحْفِيظِ وَالتَّدَبُّرِ، وَرِيَاضِ الجَنَّةِ، وَاحْرِصْ عَلَى تَكْرِيمِهِمْ وَتَحْفِيزِهِمْ وَتَشْجِيعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَإِنَّكَ إِذًا لَمِنَ المُفْلِحِينَ. هَذَا، وَفِي خِضَمِّ الاعْتِنَاءِ بِكِتَابِ اللَّهِ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ كِبَارًا وَصِغَارًا - وَلا سِيَّمَا المُشْتَغِلِينَ بِتَعَلُّمِ الكِتَابِ العَزِيزِ وَتَعْلِيمِهِ، وَإِمَامَةِ المُصَلِّينَ وَوَعْظِهِمْ- أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى المُشَارَكَةِ فِيمَا تُقِيمُهُ المُؤَسَّسَاتُ الدِّينِيَّةُ مِنْ مُسَابَقَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ، فَهِيَ وَسِيلَةٌ لإِتْقَانِ الحِفْظِ، وَإِخْرَاجِ جِيلٍ مُعْتَنٍ بِالقُرْآنِ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[2].

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَاجْعَلُوا القُرْآنَ نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ؛ فَهُوَ المَعِينُ الَّذِي لا تَنْضُبُ فَوَائِدُهُ، وَالبَحْرُ الَّذِي لا تَجِفُّ مَنَابِعُهُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ:

(١) الصافات: ٦١
(٢) المطففين: ٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كلِّ مكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وَأَلْسِنةً صَادِقةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا، وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا، وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦